وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون

وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان
شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت
من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية
لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان
فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول
من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات
مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من
انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد
وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل
وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا
من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان
ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي
رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير
لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر
الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم
يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة
وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه
وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان
ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين حين ابصر الرمانة من
رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصر رمانة الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرى نبق الجنة كقلال هجر كما رأى ظل الشجرة
من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرى الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان
ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق
من غير عهد بسابق جنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر
وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي
تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها
امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود
اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى
ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن رحمه الله يؤتى احدهم بالصحفة
فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد
والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق

ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا رأوها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير
الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن
بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير ولهم فيها ازواج مطهرة
والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار
والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي
عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذنه من اعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ
المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة
كما الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء
فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة
وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان
قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان
مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية
فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي
وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال
سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه
من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل
ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم
من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به
كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره
الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل
له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها
الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت
اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل
للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية
مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف
والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا
انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين غلبهم
الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا انه